الخطاب: مفهومه، أنماطه، وظيفته... من وجهة نظر الوظيفية
- أحمد المتوكل أنموذجا -

مريم بوقرة طالب دكتوراه د. صورية جغبوب
جامعة خنشلة

ملخص:

يعد موضوع الخطاب من أكثر المواضيع التي نالت اهتمام المفكرين قديما وحديثا؛ فمختلف النظريات اللسانية الحديثة تعمقت في دراسة الخطاب وفق مناهج خاصة، بل أن بعض النظريات اهتمت بنمط واحد فقط للخطاب دون غيره كاهتمام النظرية الحجاجية مثلا بالنمط الحجاجي.

وتعد النظريات الوظيفية عموما من النظريات التي اتخذت من الخطاب موضوعا لها، ومن بين أقطابها نجد أحمد المتوكل الذي خصص جزءا من دراساته وكتاباته لهذا الموضوع.

وسنحاول في هذا المقال أن نرصد أهم أفكاره وآرائه حول موضوع الخطاب.

الكلمات المفتاحية:الخطاب، أنماط الخطاب، وظيفة الخطاب، الخطاب الموسط، نموذج نحو الخطاب الوظيفي.

Abstract

The speech is one of the most important topics that have attracted the attention of intellectuals, whereas various modern linguistic theories have deepened the study of discourse according to special approaches.Indeed, some theories concerned only one type of discourse, such as the argumentative theory which interested in argumentatif style.

Functional theories are generally considered among the theories that used the discourse as a subject. Ahmad al-Mutawakil is one of the functional theories' poles, who devoted part of his studies and writings to this subject. In this article, we will try to monitor his most important ideas and opinions on the topic of the speech.

Key words:

Speech, speech styles , Speech function , Average discourse , Model about functional discourse .

تمهيد:

يتواصل الإنسان مع غيره عن طريق مجموعة من الجمل المترابطة، والتي من خلالها يعبر عن فكرة ما أو يناقش موضوعا ما، سواء أكان ذلك عن طريق التلفظ (أي الحديث الشفوي)، أم عن طريق الكتابة، وهذا الخطاب الملفوظ أو المكتوب أصبح من أهم القضايا التي تعالجها اللسانيات الحديثة، حتى أن هناك من الباحثين من يميز بين الحديث المنطوق Discours Opirative وبين لسانيات النصوص Textes Linguistique.

ولقد عني هذا الموضوع بدراسة مستفيضة سواء في القديم أو الحديث؛ حيث ظهر الاهتمام به قديما وحديثا في مجالات متعددة كالبلاغة (الخطاب البلاغي)، والنقد الأدبي (الخطاب النقدي)، والسيمياء واللسانيات (الخطاب اللساني، الخطاب السيميائي)... ونال حظه من الدراسات أيضا حديثا؛ حيث ظهرت جملة من النظريات اللسانية التي تهتم بدراسة الخطاب مثل النظرية التواصلية والنظرية الوظيفية... هذه الأخيرة التي تطمح إلى الربط بين بنية اللسان الطبيعي ووظيفته الأساسية؛ وهي وظيفة التواصل داخل المجتمعات

البشرية، لذا اتخذت من الخطاب موضوعا لها فتعدت بذلك حقل الجملة إلى النص، واهتمت بهذا الأخير كونه يستطيع تحقيق تلك الوظيفة أي التواصل – والتي يشترك فيها على الأقل شخصان– وكذاك التفاهم بين أفراد المنظومة الاجتماعية؛ فبنية الخطاب متعلقة بوظيفته، كما أنها متعلقة بالظروف المحيطة به.ومنه نطرح التساؤلات التالية: ما مفهوم الخطاب؟ وما هي أنماطه؟ وكيف تناول أحمد المتوكل موضوع الخطاب ؟

وسنحاول من خلال هذا البحث أن نلم أشتات الخطاب قديما وحديثا من خلال رصد مفهومه ومجاله وطبيعته وأنماطه بصفة عامة، ومن وجهة نظر الوظيفيين بصفة خاصة وعلى رأسهم المتوكل متبعين في ذلك المنهج الوصفي.

I. مفهوم الخطاب:

لقد أخذ الخطاب عدة تعريفات، فيعرفه صاحب لسان العرب بقوله: " خطب: الخطب: الشأن أو الأمر، صَغُرَ أو عَظُمَ، وقيل: هو سبب الأمر. يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرُك؟ وتقول: هذا خطبٌ جليلٌ، وخطبٌ يسيرٌ. والخَطْبُ: الأمر الذي تقع فيه المخاطَبة، والشأن والحالُ، ومنهم قولهم: جَلَّ الخَطب أي عظم الأمر والشأن. والخطاب والمُخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخَاطبَة وخطابا" (1)، هذا التعريف يحيلنا إلى أن الخطاب يعني: الأمر والشأن، والحال الذي تقع فيه المخاطبة، وأيضا مراجعة الكلام.

ويعرفه ميشال فوكو على أنه: "شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب"(2)؛ اذا فوكو يرى أن الخطاب هو عبارة عن شبكة تتكون من مجموعة نُظم اجتماعية وسياسية وثقافية من شأنها أن تبرز لنا الكيفية التي ينتج فيها الكلام على شكل خطاب وبالتالي الخطاب عنده هو كلام مرتبط بنظم مختلفة.

وهناك من يعرفه بأنه " حوار متبادل بين شخصين على الأقل؛ فهو عملية تلفظية حيوية في الزمان والمكان يديرها شخصان أو أشخاص بالكلام و بغير الكلام "(3)ومنهفالخطاب هو عملية تستلزم وجود شخصين على الأقل في مكان وزمان معينين لكي تتم.

في حين هناك من ذهب إلى أن الخطاب هو عبارة عن " إنجاز في المكان يقتضي لقيامه شروطا، أهمها المخاطِب والخطاب والمخَاطب، ولفظ الخطاب من حيث معناه اللغوي يدل على ملفوظ أكبر من الجملة منظورا إليه من حيث قواعد التسلسل الجملي "(4).

من هذا المنظور يمكن أن نقول بأن الخطاب أكبر بقليل من الجملة ؛ أي أنه عبارة عن مجموعة من الجمل المتتالية لكنها معدودة أي أن الخطاب أكثر من الجملة وأقل من النص.

و رغم تعدد التعاريف لمصطلح الخطاب إلا أن أحمد المتوكل يرى أن الخطاب لم يشهد حتى الآن تعريفا شاف، وهذا راجع للخلط بينه وبين مصطلح النص، يقول: " مفهوم الخطاب لم يحظ لحد الآن، فيما نعلم على كثرة استعماله بتعريف شاف قارٍّ، وينعكس هذا الوضع في الاستعمال المضطرب لمصطلحين يكادان يستخدمان كمرادفين يتعاقبان وهما مصطلحا " النص " (Texte) و " الخطاب " (Discoure)"(5) وهذا الاضطراب في استخدام المصطلحين نجده عند الكثيرين، حتى أنه هناك من يستخدمها على أنهما مصطلحين للمعنى نفسه.

ولقد عرف أحمد المتوكل الخطاب بقوله: " يعد خطابا كل ملفوظ/ مكتوب يشكل وحدة تواصلية تامة " (6) وبالتالي الهدف من الخطاب هو تحقيق التواصل سواء أكان عن طريق المنطوق أو عن طريق المكتوب،وهذا لن يتم إلا بوجود شخصين على الأقل، وعليه فتعريف المتوكل يتفق مع أغلب التعاريف السابقة.

ومنه يمكننا إجمال القول في التعاريف السالفة أن الخطاب هو عبارة عن عملية تحتاج لطرفين على الأقل ورسالة حتى تتم بشكل كامل، وتكون في مكان وزمان معينين وذات غرض ما.

لقد ورد مصطلح " الخطاب " في مواضع متعددة من القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: " وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الذِينَظَلَمُوا إِنَّهُم مُغْرَقُونَ " المؤمنون 27؛

وقوله عز وجل: " وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامَا " الفرقان 63.

وقوله تعالى في سورة النبأ " رَبُّ السَّمَاوَاتِ والأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحمْنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابَا" الآية 37.

II. الخطاب في نظرية النحو الوظيفي:

لقد اهتمت نظرية النحو الوظيفي كغيرها من النظريات اللسانية بدراسة الخطاب، وكذا طرفيه والغرض منه؛فمن المعروف أن الهدف الأسمى للنظريات الوظيفية عموما ونظرية النحو الوظيفي خصوصا هو تحقيق التواصل.

يرى أحمد المتوكل أنه في نظرية النحو الوظيفي يتم استخدام مصطلح الخطاب بدل مصطلح النص، يقول: "... هذا الوضع نفسه نجده في أدبيات النحو الوظيفي ... إلا أن الاتجاه الغالب الآن هو اختيار مصطلح " الخطاب " وتفضيله على منافسه، ولعل السبب في هذا التفضيل هو أن مصطلح " الخطاب " يوحي أكثر من مصطلح "النص" بأن المقصود ليس مجرد سلسلة لفظية (عبارة أو مجموعة من العبارات) تحكمها قوانين الاتساق الداخلي (الصوتية والتركيبية والدلالية الصِّرْف) بل كل إنتاج لغوي يُربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية (بالمعنى الواسع) "(7)، ومنه فنظرية النحو الوظيفي اهتمت بدراسة الخطاب باعتباره كل نتاج لغوي ترتبط عناصره اللغوية بعناصره المقامية. والعائد إلى مبادئ هذه النظرية سيجد اهتمامها الواضح بالخطاب وذلك في المبادئ الأربعة التالية: اللغة والاستعمال سياق الاستعمال اللغة والمستعمل والقدرة اللغوية

1. اللغة والاستعمال: يرتبط كل من نسق اللغة ونسق الاستعمال مع بعضهما ارتباطا وثيقا، و" يتجلى هذا الترابط في كون نسق الاستعمال يحدد في حالات كثيرة قواعد النسق اللغوي المعجمية والدلالية والصرفية ـ التركيبية والصوتية ..." (8)، أو بمعنى آخر أن القواعد والأعراف التي تحكم مجتمع ما تلعب دورا بارزا في ضبط النسق اللغوي، فمثلا يختلف الخطاب من شخص إلى آخر وذلك يعود إلى جملة من المعايير كالسن والمستوى الثقافي والحيز الجغرافي... فالخطاب الموجه للأطفال يختلف عن الخطاب الموجه للشباب، والخطاب الموجه للمثقف غير الخطاب الموجه لغير المثقف...

2. سياق الاستعمال: يلعب السياق دورا بارزا في تشكيل الخطاب فمثلا إذا أراد شخص ما أن يتحدث عن واقعة مضت يستخدم أسلوب السرد مع استعمال الأفعال الماضية، وفي مرات قد يقدم مثلا الخبر على المبتدأ نظرا لأهميته... فالسياق الذي يكون فيه الشخص يساعد إلى حد كبير في ضبط العبارات المستخدمة.

لقد تحدث أحمد المتوكل عن سياق الاستعمال ويرى أن التواصل الناجح يقتضي" أن تطابق العبارة المنتقاة سياق استعمالها" (9)،وسياق الاستعمال نوعان: سياق مقالي، وسياق مقامي.ومنه فللسياق دور فعال في تشكيل الخطاب وتحديد دلالته.

3. اللغة والمستعمل:

تعد اللغة وسيلة الإنسان في التعبير عن أفكاره ، فهي أداته في التواصل مع غيره، وهو يستخدمها حسب الموقف الذي يقع فيه؛ فلكل موقف خطاب خاص به، وقد ميز أحمد المتوكل بين جملة من المواقف التي يقع فيها المتكلم إزاء الفحوى القصوي منها: الموقف المعرفي، الموقف الانفعالي،والموقف المرجعي.

4. القدرة اللغوية:

لقد جاء تشومسكي بمفهوم القدرة اللغوية والذي يقابل في النظريات الوظيفية فهناك ما يسمى بـ" القدرة التواصلية " وتتحقق إما عن طريق اللغة وإما عن طريق وسائل غير لغوية، وبالتالي القدرة التواصلية تضم المعارف اللغوية والمعارف السياقية ولا بد أن" يستحضر المتكلم ـ السامع أثناء إنتاج عبارات لغته أو فهمها كل هذه المعارف وإن كان استحضارها يتفاوت باختلاف موقف التواصل وملابساته ونمط الخطاب الناتج ..." (10) وبالتالي فالقدرة اللغوية في النظرية التوليدية التحويلية ترى أن الشخص يمكن له أن ينتج العديد من الخطابات وذلك عائد إلى القدرة التي يولد مزود بها، أما في النظريات الوظيفية فيتم تجاوز ما هو لغوي إلى ما هو غير لغوي وعندما ينتج المتكلم ـ المستمع خطابا ما فهو يستحضر مختلف المعارف اللغوية وغيرها.

I. طبيعة الخطاب:

إن الخطاب عموما يتكون من عدة عناصر، لعل أهمها طرفي الخطاب حيث لا يمكن أن نقول عن الخطاب خطابا إلا إذا استوفى هذين العنصرين، ويرى أحمد المتوكل أن أي خطاب يشكل لنا " نموذجا ذهنيا "يشترك في بنائه كل من المتكلم والمخاطب، ويتسم هذا النموذجين بسيمتين:(11)

- ❖ سمة الجزئية: يتصف النموذج الذهني بهذه الصفة لأنه لا يمكن أن يتضمن جميع ما يمكن أن نعرفه عن جميع العوالم الممكنة، أي أن المخزون الذهني لدى المتكلم والمخاطب يستحيل أن يكون شاملا لكل المعارف الموجودة في هذا الكون، وإنما يحتوي على جزء منها.
- ❖ سمة الحركية: يتصف النموذج الذهني بهذه الصفة لأنه نموذج متغير، فهو لا يبقى ثابتا من بداية الخطاب إلى نهايته، بل يتغير بتغير مراحل الخطاب فمثلا القطع الأخيرة من الخطاب تكون مبنية على سابقاتها، والقطع الأولى تأخذ بعين الاعتبار ما سيقال في ما بعد.

كذلك تحدث أحمد المتوكل عن نموذج التواصل بين مستعملي اللغة والذي كان افترضه ديك من قبل، وهذا النموذج يعمل كالآتي:

لا بد أن يشترك في عملية التواصل مشاركان وهما: المتكلم والمخَاطَب ويمثلان طرفا الخطاب ويقصد بهما " ذاتان مجردتان تشتركان في عملية تواصل تتم بالمشافهة أو بالمكاتبة "(12) ويتم التواصل بينهما من خلال طريقتين؛ ذلك أنه " تتفاوت صياغة الغرض التواصلي من حيث درجة صراحتها التي يحددها مخزون المتكلم

المعلوماتي حين التواصل، وما يفترضه المتكلم عن مخزون المخاطب المعلوماتي" وبالتالي يكون التواصل إما عن طريق التلميح وإما عن طريق التصريح:

❖ عن طريق التلميح : وذلك يكون في حالة ما " إذا افترض المتكلم مثلا أن مخزون المخاطب يتضمن من المعلومات ما يكفل تعرفه على المحال عليه اكتفى بالإشارة إليه عن طريق اسم، أو ضمير... "(13)مثال ذلك أن يقول المتكلم للمخاطب: التقيت اليوم المرأة الطيبة.

❖ عن طريق التصريح: وذلك يكون في حالة ما " إذا افترض المتكلم أن مخزونالمخاطب لا يفي بتمكينه من التعرف على الذات المحال عليها، فإنه يُضطر إلى استعمال عبارة صريحة تضمن إنجاح عملية الإحالة"(14) مثال ذلك أن يقول المتكلم بدلا من الجملة السابقة: التقيت اليوم أسماء التي رافقتنا إلى معرض الكتاب.

وفي الحالة الثانية يمكن تصنيف المخزون المعرفي للمتكلم والمخاطب إلى ثلاثة أصناف أساسية : معارف عامة، معارف مقامية، و معارف سياقية،وهي كالتالي:(15)

- معارف عامة: وتتعلق بمدركات المتخاطبين حول العالم.
- معارف مقامية: هذا النوع من المعارف مشتق من عناصر المقام الذي تتم فيه عملية التواصل.
- معارف سياقية: هذه النوع من المعارف يوفرها للمتخاطبين ما تم إيراده في قطعة خطابية سابقة.

إذا عملية التواصل لا بد أن تتوفر على طرفي الخطاب (المتكلم والمخاطب)،و الرسالة (خطاب) التي يبعث بها المتكلم للمخاطب، وذلك يكون مع مراعاة المخزون المعرفي لكل منهما.

II. أنماط الخطاب:

غالبا ما يتم التمييز بين نوعين من الخطاب؛ خطاب علمي وخطاب أدبي:(16)

أ. الخطاب العلمي: يعد الخطاب العلمي أحد الأنواع الرئيسية للخطاب عموما، وهذا النوع نجده يخلو من الإيحاء وتراكم الدلالة، كما يغلب عليه أسلوب الإخبار، ويخلو من التكرار والترادف، وتراكيبه ومصطلحاته دقيقة؛ حيث تستخدم المصطلحات الخاصة بالحقل العلمي الذي يتم الحديث فيه.

ب. الخطاب الأدبي: يعد هو الآخر أحد الأنواع الرئيسية للخطاب عموما، نجد اللغة فيه متكلمة عن ذاتها ومتكلمة عن الأشياء خارجها وفق الصورة التي ترى بها الأشياء، والبحث في لغة الخطاب الأدبي يكون في الوظائف والأشكال الخاصة بالأنظمة الاعتباطية للرموز النصية ومحاولة تحديد دلالتها ومعانيها.ويعد الخطاب الأدبي توسيعا لبعض خصائص اللغة واستعمالها.

يصنف المتوكل الخطابات إلى أنماط محددة وذلك استنادا إلى مجموعة معايير وهي: المجال، القصد، الآلية، القناة: (17)

1. من حيث المجال: لكل مجال مواضيع ومصطلحات خاصة به فالمجال الأدبي مثلا يختلف عن المجال العلمي و عن السياسي... ومنه ينعت الخطاب بالأدبي والعلمي والسياسي والإيديولوجي...

2. من حيث القصد (الهدف): تختلف أنمط الخطاب باختلاف الأهداف المنشودة من الخطاب فيكون الخطاب إخباريا أو إقناعيا أو تضليليا أو تفسيريا أو العكس.

3. من حيث الآلية: يختلف الخطاب باختلاف الآلية المستخدمةفيمكن لنا أن نميز بين الخطاب السردي والخطاب الوصفي والخطاب الحجاجي.

4. من حيث القناة (النسق التواصلي المستخدم): تلعب القناة المستخدمة في التواصل دورا بارزا في اختلاف أنماط الخطاب، فيمكن أن يكون الخطاب لغويا كما يمكن أن يكون صوريا (رسم، شريط...) أو يكون إشاريا، كما يمكن أن يكون خطابا يزاوج بين أكثر من قناة.

تعد هذه أهم المعايير التي استند إليها أحمد المتوكل في تصنيف الخطابات، إلا أنها تبقى معايير نسبية ولا تتميز بالصرامة، حتى أن المتوكل قال بأن " هذا التنميط ليس بالتنميط الصارم إذ أن نفس المجال يستخدم أكثر من آلية كما أن نفس الآلية يمكن أن تعتمد في أكثر من مجال واحد..."(18) وعليه يبقى هذا التنميط نسبي.

III. أقسام الخطاب: قسم أحمدالمتوكل الخطاب إلى قسمين: مباشر وموسط

1. الخطاب المباشر: هو ذلك الخطاب الذي " يتم بين ذاتين دون واسطة، حيث تقوم عملية التواصل بين ذاتين محققتين (متكلم ومخاطب) أو مجردتين (كاتب وقارئ، مؤسسة وجمهور...) لا ثالثة لهما"(19) فالخطاب المباشر يستوجب وجود ذاتين إما محققتين وإما مجردتين،فهو يحتاج لطرفين فقط لا وجود لطرف ثالث، وهو الآخر يكون إما " خطابا سليما " وإما " خطابا مضطربا "

1. الخطاب المباشر السليم: وهو الخطاب الذي يكون في الحالات العادية مثل: 1ـ كيف حالك؟

2 ـ بخير

2. الخطاب المباشر المضطرب: وهو الخطاب غير العادي فيكون فيه إما اضطراب عرضي وإما اضطراب مرضي وكلاهما يكون إما في الإنتاج أو الفهم:

2 . أ/ عرضي: هذا النوع " يحدث في مواقف تخاطبية عادية" (20) مثال ذلك: هل نجح علي؟ من علي؟

2 . ب/ مرضي: هذا النوع يكون ناتجا إما عن " خلل نفسي أو عقلي لدى المتكلم أو الخاطَب" (21)، مثال ذلك: 1. هل التقيت خالد ابن الوليد اليوم؟ ⟻خلل لدى المتكلم

1. من التقيت في طريقك؟

2ـ التقيت بالأمير عبد القادر ⟻ خلل لدى المخاطَب.

2. الخطاب الموسط:هو ذلك الخطاب الذي " تتم فيه عملية التواصل عن طريق ذات ثالثة تتوسط بين منتج الخطاب والخطاب ومتلقيه (محققين أو مجردتين) تشكل جسر عبور بينهما "(22)

هذا الخطاب يختلف عن المباشر في كونه يحتاج لطرف ثالث وهو ما يسمى بـ" الذات الواسطة " فهي تتوسط بين طرفي الخطاب (محققين أو مجردين)، و " تقوم الذات الواسطة في أغلب الأحوال، بأحد أدوار ثلاثة: دور الناقل المحض ودور المترجم، ودور الملقن "(23)

وعلى أساس هذه الأدوار قسم الخطاب الموسط إلى: (موسط منقول،موسط مترجم، موسط ملقن.)

مثلا: قال محمد لعلي :أعرني كتابك ⇦ طرفي الخطاب محمد وعلي، والطرف الثالث الذي يعد واسطة هو ناقل الخطاب الذي جرى بين محمد وعلي.

1. الخطاب الموسط المنقول: هو ذلك النوع من الخطابات الذي " تقوم فيه الذات الواسطة بدور الناقل المحض" (24)، وتحكم هذا الخطاب سلميتان قطبا الأولى: الاستقلال والإدماج، وقطبا الثانية: المحافظة والتصرف؛ فبالنسبة لقطبا الأولى (الاستقلال والإدماج) يكون الخطاب المنقول مستقلا عن الخطاب الناقل بنيويا، أي أن كل

2. من الخطابين يمثل جملة مستقلة عن الأخرى(25)مثلا: قال محمد لخالد: ناولني الكتاب بعد انتهائك من قراءتا ⇦ ا الخطاب الناقل يمثل الجملة: " قال محمد لخالد "، والخطاب المنقول يمثل الجملة: " ناولني الكتاب بعد انتهائك من قراءته "

أما بالنسبة للإدماج ففي هذه الحالة يشكل كل من الخطابين الناقل والمنقول جملة واحدة، مثلا:

- طلب محمد من خالد أن يناوله الكتاب بعد انتهائه من قراءته.
- أمر محمد خالد أن ناولني الكتاب بعد انتهائه من قراءته.

هذا بالنسبة لقطبا السلمية الأولى (الاستقلال والإدماج)، أما قطبا السلمية الثانية فيمثلان المحافظة والتصرف؛ أي التصرف في الخطاب بإضافة عناصر أو إنقاص عناصر لإدماج الخطابين الناقل والمنقول إلا أنه يحافظ على معناه الأصلي؛ فإذا عدنا إلى الأمثلة . السابقة الذكر .

- قال محمد لخالد: ناولني الكتاب بعد انتهائك من قراءته ⇦ الخطاب الأصلي فيه جملتين تمثل الأولى الخطاب الناقل، والثانية الخطاب المنقول.
- طلب محمد من خالد أن يناوله الكتاب بعد انتهائه من قراءته. ⇦ أُدمج الخطابين في جملة واحدة بإضافة الحرف المصدري أن.

نلاحظ أن الخطاب الأصلي لم يتغير رغم إدماج جملتي الخطابين الناقل والمنقول في جملة واحدة بواسطة الحرف المصدري " أن ".

3. الخطاب الموسط المترجم:قبل الحديث على هذا النوع نتناول تعريفا للترجمة باعتبارها إحدى أهم الآليات في نقل المعارف من لغة إلى أخرى. يعرفها صاحب معجم اللغة العربية المعاصرة بأنها: " ترجمة {مفرد} ج ترجمات (لغير المصدر)، وتراجِمُ (لغير المصدر): مصدر ترجَمَ / ترجم لـ .ترجمة آنية/ ترجمة فورية: مصاحبة للنص الأصلي أثناء إلقائه. ترجمة حرة / ترجمة بتصرف: لا تتقيد بحرفية النقل. ترجمة حرفية: النقل من لغة إلى أخرى نقلا حرفيا " (26) فالترجمة إذا أنواع ورغم اختلاف أنواعها إلا أنها تبقى من أهم الوسائل في نقل المعارف والعلوم من لغة إلى أخرى...

ربط أحمد المتوكل الخطاب الموسط بالترجمة وأطلق عليه ما يسمى بالخطاب الموسط المترجم والذي" تقوم فيه الذات الواسطة بدور المترجم "(27) وترتبط الترجمة هنا بالنسق التواصلي حيث يمكن أن تتم عملية الترجمة داخل نفس النسق اللغوي ونسميها " ترجمة نسقية" كما يمكن أن تتم بين نسقين تواصليين مختلفين (لغة وصورة، لغة وإشارة ...) ونسميها " ترجمة أنساقية " (28)

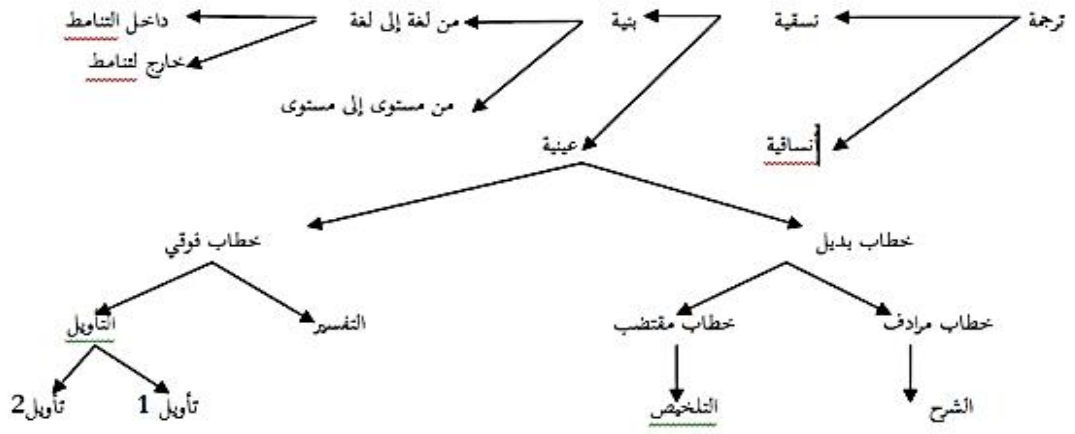

مخطط توضيحي

1. الترجمة النسقية: تحدث داخل نفس النسق اللغوي للتواصل وتنقسم إلى: بينية وعينية

أ. الترجمة النسقية البينية: يمكن أن تجري بين لغتين مختلفتين أو تجري داخل نفس اللغة؛ فتكون بين اللغتين العربية والإنجليزية مثلا، أما داخل اللغة الواحدة كالعربية مثلا فيمكن أن تجري الترجمة بين الترجمة بين مستويين لغويين، ذلك أن اللهجات العربية ليست لغات مستقلة بل " مستويات لغوية " كما يرى المتوكل وبالتالي " أصبح من الممكن أن نميز داخل خانة الترجمة البينية بين الترجمة التي تتم بين لغتين مختلفتين والترجمة التي تقوم بين مستويين لغويين داخل نفس اللغة "(29)

يُورد أحمد المتوكل مثالا للتوضيح ففي الترجمة النسقية البينية يتم نقل نص مثلا من اللغة الفرنسية المعيار (لغة باريس) إلى لغة شعبية أو إلى لغية إحدى مناطق فرنسا (الجنوب، الشرق...)

أما في اللغة العربية فيرى أن الأمر مختلف، ذلك أننا نقع بين اثنتين: أن نفترض أن الفرق بين العربيتين الفصحى والفصيحة من جهة، والعربيات الدوارج من جهة أخرى فرق نسقي حيث نكون أمام لغتين مختلفتين وإن تآسرتا سلاليا، أو أن نفترض أن العربية الفصحى والعربية الفصيحة المعاصرة والعربيات الدوارج لا تعدو أن تكون مستويات لغوية داخل نفس النسق تختلف باختلاف مجال استعمالها ووظيفتها أو من حيث الموقع الجغرافي. (30)

ب. الترجمة النسقية العينية: والمقصود بها نقل نص ما إلى نص آخر من نفس المستوى اللغوي داخل نفس اللغة، ويمكن في هذا النوع من الترجمة أن نميز بين خطابين: " البديل " و " الفوقي " : (31)

أ / الخطاب البديل: هنا يمكن أن نميز بين نوعين من الخطاب " الخطاب المقتضب " و " الخطاب المرادف"

1. الخطاب المقتضب: الخطاب الذي يلخص النص الأصلي بإيراد فحواه موجزا.

2 ـ الخطاب المرادف: وهو الخطاب الذي يستهدف شرح النص الأصلي شرحا يفترض فيه أنه أقرب إلى الفهم من النص الأصلي.

ب / الخطاب الفوقي: هو خطاب عن خطاب يروم تفسيره أو تأويله، ويمكن أو يُرجع الفرق بين هاتين العمليتين إلى أن التفسير ربط للنص المفسر بظروف إنتاجه وبمؤلفه في حين أن التأويل إسقاط لسياق المؤول ومعارفه وما يتوسل به من آليات التأويل على النص الأصلي إسقاطا منتهاه محو المؤلف وإحلال المؤول محله. وتتعدد التأويلات بتعدد المؤولين.

2. الترجمة الأنساقية: للتواصل قنوات أخرى غير اللغة مرئية ومسموعة، فمن المرئية ما يقوم بدور الدعم في التواصل الغوي كالحركات و تعابير الوجه ومنها ما يشكل نسقا متكاملا قائم الذات كإشارات الصم البكم وإشارات المرور... ومن المسموعة الأصوات الدالة كأصوات الإنذار، وهناك القطع الموسيقية... وهذه الأنساق التعبيرية بينها تناظر قائم، وأهم ما يوحي به هذا التناظر إمكانية التناقل بين هذه الأنساق وإمكانية ترجمة بعضها إلى بعض، وتعد الترجمة التي تتم بين اللغة والنسق الإشاري المعتمد في تعابير الصم البكم أكثر الترجمات الأنساقية تداولا وممارسة. (32)

3. الخطاب الموسط الملقن: وهو ذلك الخطاب الذي " تقوم فيه الذات الواسطة بدور الملقن"(33)

يرتبط هذا الخطاب بتعليم اللغات، وقد ميز أحمد المتوكل بين مقاربتين اصطلح عليهما: " التعليم المباشر" و"التعليم الموسط "، وقد وضح كيف يتم تعليم اللغات وفق المقاربتين كالآتي:(34)

1. يتم وفق المقاربة الأولى تعليم لغة ما (اللغة الثانية) بدءا من داخل هذه اللغة نفسها.

2. يتم وفق المقاربة الثانية تعليم لغة ما مرورا باللغة الأولى (أي اللغة الأم المكتسبة)، ويتبنى أحمد المتوكل هذا الطرح،وقد قدم مجموعة من المبررات ليدعم هذه المقاربة وهي:(35)

أولا: يسهل تعلم اللغة الانتقال بين قدرتين لغويتين تحكمهما ملكة لسانية واحدة وتربطهما كليات لسانية متقاسمة، ويكون التعلم أيسر إذا كانت اللغة الثانية من نمط الأولى أو حين يتم الانتقال داخل نفس القدرة كتعلم المغربي اللغة العربية الفصيحة.

ثانيا: المرور عبر اللغة الأولى لايتيح لنا تعلم اللغة الثانية فحسب، بل يمنح كذلك إمكانية المقارنة بين اللغتين من حيث وجوه الائتلاف والاختلاف، كذلك تسهل الانتقال السريع بين اللغتين.

ثالثا: يوافق تعلم اللغة الثانية عبر الوظيفة اكتساب اللغة الأولى؛ باعتبار أن الطفل يكتسب الوظائف التواصلية قبل أن يكتسب وسائل تأديتها والتعبير عنها.

IV. نظريات تحليل الخطاب:

إن للخطاب مجموعة نظريات تقاربه، ويرى أحمد المتوكل أن مقاربة الخطاب بمختلف أنماطه يمكن إرجاعها إلى أربع أطروحات: أطروحة الخاص للخاص، وأطروحة الخاص للعام، وأطروحة البعض للكل، وأطروحة العام للخاص، ووفقا لهذه الأطروحات تم تقسيم المقاربات إلى: مقاربات سائدة، ومقاربة للتمحيص، ولقد تحدث أحمد المتوكل عن هذه الأطروحات بنوع من التفصيل حتى يتسنى لنا معرفة كيف تتم المقاربة وفقها:(36)

1. المقاربات السائدة: ترجع إلى ثلاث أطروحات:

أ. أطروحة الخاص للخاص: يذهب الدارسون المتبنون لهذه الأطروحة إلى أن كل نمط خطابي يستدعي مقاربة تخصه دون غيره، واعتمادا على هذه الأطروحة وضعت للخطاب الأدبي نظرية سيميائية، وللخطاب السردي نظرية سردية كما وضعت للخطاب الحجاجي نظرية حجاجية.

يرى أحمد المتوكل أنه بالرغم لما لهذه الدراسات من أهمية في مجالها إلا أن اهتمامها اقتصر على خصائص نمط خطابي معين دون غيره مغفلة القواسم المشتركة بين الأنماط الخطابية والتي تسم الخطاب الطبيعي بوجه عام.

أطروحة الخاص للعام: هذا النوع من المقاربات وقعت في مطب الإسقاط من حيث أنها عممت خصائص خطاب معين على خطاب أو خطابات تتسم بخصائص متباينة، مثال ذلك الدراسات التي عالجت الخطاب الإيديولوجي بما يعالج به الخطاب العلمي والعكس...

ب. أطروحة البعض للكل: المقاربة التي تعتمد هذه الأطروحة هي المقاربة التي تهتم بجانب واحد من خصائص الخطاب وتُغفل الجوانب الأخرى، أو لا ترصد ولا تضبط العلاقات القائمة بينها وبينه. فمثلا بعض الدراسات البنوية اهتمت بخصائص النص الصوري على أساس أنه نسق من الوحدات والتراكيب المجردة، دون أن تهتم بخصائصه الدلالية والتداولية التي تتفاعل بشكل ملحوظ مع العناصر الصورية، في حين نجد دراسات اهتمت بالجانبين الدلالي والتداولي دون الصوري مثلا.

إذا هذه هي المقاربات التي تعتمد الأطروحات الثلاث الأولى (أطروحة الخاص للخاص، وأطروحة الخاص للعام، وأطروحة البعض للكل)ورغم كونها قد أغنت الدرس اللساني إلا أن أحمد المتوكل يرى أنها لم ترق نظرا لخصوصية موضوعهاإلى أن تكون نظرية كاملة لمقاربة اللغات، لهذا اقترح بديلا لهذه المقاربات.

2. مقاربة للتمحيص: اقترح أحمد المتوكل مقاربة جديدة كبديل للمقاربات السائدة أو ما يُطلق عليها مقاربة للتمحيص وهي تعتمد الأطروحة الأخيرة " أطروحة العام للخاص "، وقد وضع لها معالم منها:

أ. للخطاب الطبيعي خصائص وظيفية تداولية ودلالية وأخرى صورية صرفية. تركيبية وفونولوجية تتعالق فيما بينها على أساس تبعية هذه الأخيرة للخصائص الأولى.

ويرى المتوكل أنه يتحتم على المقاربة التي تستشرف إحراز الكفايتين الوصفية والتفسيرية أن ترصد كل الخصائص السابقة، وأن تُقيِّم وصفها وتفسيرها لهذه الخصائص على أساس تحكُّم الوظيفة في البنية.

ب. تقتضي مقاربة أنماط الخطاب نظرية عامة ترصد خصائص الخطاب الطبيعي التي تتقاسمها تلك الأنماط على تباينها؛ أي أن أنماط الخطاب المختلفة (أدبي، علمي، حجاجي، إقناعي...)

ج. ترصد نظرية الخطاب العامة هذه قدرة مستعمل اللغة على إنتاج وتأويل الخطاب باعتبار أن هذه القدرة الخطابية جزء من القدرة اللغوية العامة.والقدرة اللغوية من هذا المنظور قدرتان مترابطتان: قدرة تشمل معرفة المستعمل لنسق لغته العام وتسمى" معرفة نسقية "، وقدرة تخص معرفته الخطابية التي تؤهله مبدئيا لإنتاج وتأويل الخطاب أيا كان نمطه وتسمى " معرفة خطابية ".

د. إذا كانت المعرفة الخطابية فرعا من المعرفة اللغوية العامة توجب أن تُدرج مقاربة الخطاب الطبيعي وأنماطه في نظرية لسانية تحكمها وتضبطها مبادئ ومنهج.

هذه تعد أهم المعالم التي رسمها أحمد المتوكل من أجل مقاربة جديدة قائمة على أطروحة العام للخاص، والتي من شأنها أن تقارب الخطاب بمختلف أنماطه من جميع الجوانب عكس النظريات السائدة التي تركز على جانب و مغفلة الجوانب الأخرى، فلكي تتسم مقاربة لسانية ما بصفة التنظير وتكون نظرية قائمة بذاتها فهي لا بد أن تكون شاملة وأن لا تختص في جانب دون الجوانب الأخرى، أو على الأقل تكون شاملة لأغلب الجوانب.

خاتمة:

في نهاية هذا المقال توصلنا إلى أن:

- ✓ الخطاب نال اهتمام المفكرين قديما وحديثا، وقد ذكر لفظ الخطاب في القرآن الكريم وفي كثير من المواضع.
- ✓ شهد الخطاب تعريفات عدة بين من ذهب إلى التفريق بينه وبين النص، وبين من يرى أنها الشيء نفسه...
- ✓ تعد النظرية الوظيفية من بين النظريات التي اتخذت من الخطاب موضوعا لها، ومن بين أقطابها نجد أحمد المتوكل.
- ✓ فرق أحمد المتوكل بين الخطاب والنص، ويرى بأن مصطلح الخطاب يوحي أكثر من مصطلح النص على كل نتاج لغوي يُربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية.
- ✓ صنف احمد المتوكل الخطاب إلى أنماط متباينة (أدبي، علمي، إخباري، إقناعي، حجاجي، وصفي، لغوي، صوري...) وذلك اعتمادا على مجموعة معايير وهي: المجال، القصد، الآلية، القناة، نوع المشاركة، طرق المشاركة، نوع قناة التمرير، وجه الخطاب.
- ✓ قسم أحمد المتوكل الخطاب إلى قسمين: خطاب مباشر وخطاب موسط؛ والخطاب المباشر بدوره ينقسم إلى خطاب مباشر سليم، وخطاب مباشر مضطرب هذا الأخير ينقسم إلى خطاب مضطرب عرضي وخطاب مضطرب مرضي، بينما ينقسم الخطاب الموسط إلى: خطاب موسط منقول، وخطاب موسط مترجم، وخطاب موسط ملقن.
- ✓ الخطاب الموسط المنقول: هو الخطاب الذي تقوم فيه الذات الواسطة بدور الناقل ، و تحكم هذا الخطاب سلميتان قطبا الأولى: الاستقلال والإدماج، وقطبا الثانية: المحافظة والتصرف.

أما الخطاب الموسط المترجم: فتقوم فيه الذات الواسطة بدور المترجم، وترتبط الترجمة هنا بالنسق التواصلي، وتنقسم إلى: ترجمة أنساقية وترجمة نسقية؛ فإذا تمت عملية الترجمة داخل نفس النسق اللغوي نسميها " ترجمة نسقية"، أما إذا تمت بين نسقين تواصليين مختلفين (لغة وصورة، لغة وإشارة ...) نسميها " ترجمة أنساقية".

4. والخطاب الموسط الملقن: هو ذلك الخطاب الذي تقوم فيه الذات الواسطة بدور الملقن ويرتبط بتعليم اللغات.

✓ تنقسم نظريات مقاربة الخطاب إلى نظريات سائدة و أخرى يطلق عليها نظرية للتمحيص؛ حيث تعتمد النظريات السائدة على ثلاث أطروحات وهي: أطروحة الخاص للخاص، وأطروحة الخاص للعام، وأطروحة البعض للكل، وما يعاب عليها عموما هو اقتصارها على جانب دون الجوانب الأخرى،بينما ما يسمى بنظرية للتمحيص فتعتمد أطروحة العام للخاص وقد رسم أحمد المتوكل معالمها.

الإحالات

1. ابن منظور،لسان العرب، م5، دار صادر، بيروت، ط4. 2005. ص97/ 98
2. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ـ دراسة معجمية ـ جدرا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009.ص 13
3. خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، ص 178
4. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ـ دراسة معجمية ـ ،ص 14
5. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية الخطاب من الجملة إلى النص ـ دار الأمان، الرباط، د.ط، 2001، ص 16.
6. أحمد المتوكل، الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2003، ص22
7. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ـ بنية الخطاب من الجملة إلى النص . ، ص 16.
8. أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ـ الأصول والامتداد ـ دار الأمان، الرباط، ط1، 2006، ص 21.
9. أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، دار الأمان ، الرباط، ط1، 2016، ص 384
10. أحمد المتوكل، المرجع نفسه . ص 27.
11. ينظر أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، ص 487/486:
12. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية .بنية الخطاب من الجملة إلى النص ـ ، ص 18
13. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ص 486
14. نفس المرجع ص 486.
15. ينظر أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ـ بنية الخطاب من الجملة إلى النص ـ ص19.
16. ينظر نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ـ دراسة معجمية ـ ص 16/ 17 .
17. ينظر أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة . دراسة في التنميط والتطور. دار الأمان، الرباط، ط 1، 2012، ص 77
18. المرجع نفسه،ص 77
19. محمد الحسين مليطان، نظرية النحو الوظيفي . الأسس والنماذج والمفاهيم . دار الأمان، الرباط، ط1، 2014، ص 86.
20. أحمد المتوكل، الخطاب الوسط . مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات . ، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011، ص 16.
21. المرجع نفسه ص 16 .
22. محمد الحسين مليطان، نظرية النحو الوظيفي . الأسس والنماذج والمفاهيم . ،ص 88.
23. أحمد المتوكل، الخطاب الوسط . مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات . ص 20

24. محمد الحسين مليطان، نظرية النحو الوظيفي . الأسس والنماذج والمفاهيم .،ص 88
25. للتوضيح أكثر ينظر أحمد المتوكل، الخطاب الوسط . مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات . ،ص20
26. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، م 1 ، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008. ، ص 289
27. محمد الحسين مليطان، نظرية النحو الوظيفي . الأسس والنماذج والمفاهيم . 88
28. أحمد المتوكل، الخطاب الوسط . مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات ص 22. 23.
29. المرجع نفسه، ص 23
30. للتوضيح أكثر ينظر المرجع نفسه، ص 26/25.
31. ينظر المرجع ص 27/ 28
32. ينظر المرجع نفسه ص 29 . 30.
33. محمد الحسين مليطان، نظرية النحو الوظيفي . الأسس والنماذج والمفاهيم .، ص 88
34. ينظر أحمد المتوكل، الخطاب الوسط . مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات . ص 30– 31 .
35. ينظر المرجع نفسه، ص 31.
36. ينظر أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية ـ دراسة في الوظيفة والبنية والتنميط، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010، ص 27_ 32

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور،لسان العرب، م5، دار صادر، بيروت، ط4. 2005.
2. أحمد المتوكل، الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2003.
3. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة . دراسة في التنميط والتطور. دار الأمان، الرباط، ط 1، 2012.
4. أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، دار الامان، الرباط، ط1، 2016.
5. أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ـ الأصول والامتداد ـ دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.
6. أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية ـ دراسة في الوظيفة والبنية والتنميط، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.
7. أحمد المتوكل، الخطاب الموسط . مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات . ، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011.
8. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013
9. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. بنية الخطاب من الجملة إلى النص ـ دار الأمان، الرباط، د.ط، 2001.
10. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، م 1 ، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.
11. محمد الحسين مليطان، نظرية النحو الوظيفي . الأسس والنماذج والمفاهيم . دار الأمان، الرباط، ط1، 2014.
12. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ـ دراسة معجمية ـ جدرا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009.
13. خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013.